سلسلة كتب المستقبل

دور القوة الناعمة
في السياسة الخارجية للقوى المتوسطة

تحرير وتقديم:

د. خالد حنفي علي

المستقبل
للأبحاث والدراسات المتقدمة

دور القوة الناعمة
في السياسة الخارجية للقوى المتوسطة

تقديم وتحرير
د. خالد حنفي علي

المستقبل
للأبحاث والدراسات المتقدمة

بطاقة فهرسة:

علي، خالد حنفي (محرر)
دور القـوة الناعمـة فـي السياسـة الخارجيـة للقـوى المتوسـطة/ تحريـر خالـد حنفـي علـي؛ تأليـف د. أميـرة أبـو سـمرة... [وأخ].- ط 1.- أبوظبـي: المسـتقبل للأبحـاث والدراسـات المتقدمـة، 2024.
198ص؛ 24 سم.- (سلسلة كتب المستقبل)

ردمك (النسخة المطبوعة) 978-9948-771-11-1
ردمك (النسخة الإلكترونية) 978-9948-771-10-4

1. القوة الناعمة
2. السياسة الخارجية
3. الهند
4. كوريا الجنوبية
5. جنوب إفريقيا
6. البرازيل
7. تركيا

أ. أبو سمرة، أميرة (مؤلف مشارك)
ب. علي، خالد حنفي (محرر)
ج. العنوان
د. السلسلة

الإخراج الفني: عبدالله خميس
التدقيق اللغوي: محمذن الغوث

© جميع الحقوق محفوظة لمركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة - أبو ظبي - 2023
www.futureuae.com

عن المستقبل:

مركز تفكير (Think Tank) مستقل، أنشئ عام 2014، في أبوظبي، بدولة الإمارات العربية المتحدة، للمساهمة في تعميق الحوار العام، ومساندة صنع القرار، ودعم البحث العلمي، فيما يتعلق باتجاهات المستقبل، التي أصبحت تمثل إشكالية حقيقية بالمنطقة، في ظل حالة عدم الاستقرار وعدم القدرة على التنبؤ، خلال المرحلة الحالية، من خلال رصد وتحليل وتقدير "المستجدات" المتعلقة بالتحولات السياسية والاتجاهات الأمنية، والتوجهات الاقتصادية والتطورات التكنولوجية، والتفاعلات المجتمعية والثقافية، المؤثرة على مستقبل منطقة الخليج، وفي نطاق الشرق الأوسط عموماً.

للاتصال والمعلومات:

برج سكاي تاور، جزيرة الريم، الطابق (31)
ص.ب 111414 أبوظبي, الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 4513 444 02 971+
فاكس: 4732 444 02 971+
Email: info@futureuae.com
www.futureuae.com

*حقوق النشر محفوظة ولا يجوز الاقتباس من مواد الإصدار من دون الإشارة إلى المصدر

المستقبل
للأبحاث والدراسات المتقدمة

المدير التنفيذي
حسام إبراهيم

المستشار الأكاديمي
د. إبراهيم غالي

رئيس التحرير
عبداللطيف حجازي

نائب رئيس التحرير
آية يحيى

باحثو المركز
علي صلاح
أحمد علوبة
أحمد عاطف
د. إيهاب خليفة
هالة الحفناوي
مصطفى ربيع
إبراهيم الغيطاني
يارا منصور
محمد محمود السيد
محمد العربي
شريف هريدي
محمود قاسم

الإخراج الفني
عبدالله خميس
عادل خطاش

التدقيق اللغوي
محمذن الغوث

العلاقات العامة
رحاب مكرم
info@futureuae.com

النشر والتسويق
أمجد محمد جروين
marketing@futureuae.com

الفهرس

المقدمة:
إطار عام: نموذج "الجاذبية الهجين".. القوة الناعمة للدول المتوسطة
07
د. خالد حنفي علي

الفصل الأول:
معضلة التناقض: رؤية نقدية للقوة الناعمة الهندية بين الدولة والحضارة
21
د. أميرة أبو سمرة

الفصل الثاني:
جاذبية منقوصة: تحديات قبول وفاعلية قوة جنوب إفريقيا الناعمة
61
د. رانيا حسين خفاجة

الفصل الثالث:
عكس الضرر: اتجاهات استعادة قوة البرازيل الناعمة بعد عودة "لولا دا سيلفا"
93
أمل مختار

الفصل الرابع:
تصفير الخلافات: تحولات الاستراتيجية التركية في توظيف القوة الناعمة
125
د. أحمد سيد حسين

الفصل الخامس:
موجة "هاليو": مقومات الصعود العالمي للقوة الناعمة لكوريا الجنوبية
161
دينا إبراهيم حسن

المقدمة

إطار عام:

نموذج "الجاذبية الهجين".. القوة الناعمة للدول المتوسطة

في أعقاب الحرب الروسية الأوكرانية، التي اندلعت في فبراير 2022، جادل البعض بأن عصر القوة الناعمة (Soft Power) تراجع في السياسة العالمية، وأن هذا النمط من القوة التعاونية صار "ثانوياً"، لفشله في منع الحرب، ومن ثم، عاد العالم لسيرته الأولى في تعظيم القوة الصلبة على حساب نظيرتها الناعمة. وقد يكون ذلك الاستنتاج صحيحاً جزئياً بالنظر إلى استخدام الأدوات العسكرية والعقوبات الاقتصادية في المواجهة العالمية بين القوى الغربية وروسيا حول أزمة أوكرانيا. إضافة إلى الزيادة الهائلة في الإنفاق العسكري لألمانيا، وحلف شمال الأطلسي "الناتو"، وتغير الاستراتيجية الدفاعية لليابان، وتصاعد التنافس الأمريكي الصيني حول أزمة تايوان، ومن قبل ذلك، ارتباط الصعود الروسي في الشرق الأوسط باستخدام القوة العسكرية.

مع ذلك، تكمن المفارقة أن الحرب الأوكرانية أبرزت أيضاً على النقيض أهمية القوة الناعمة لسياسات القوى المتوسطة (Middle Powers) في النظام الدولي، مثل، الهند والبرازيل وجنوب إفريقيا وتركيا وغيرها، والتي نشطت في مجال أدوار الوساطة لوقف الحرب، إذ اتخذت مواقف غير منحازة إزاء الاستقطاب الغربي الروسي عبر رفض العقوبات الغربية، وفي الوقت ذاته إدانة غزو أراضي الدول ذات السيادة بالقوة العسكرية لانتهاكه لقواعد القانون الدولي، بموازاة ذلك، مضت في سياسة الرهان على تعزيز التحالفات والتشبيكات وتنشيط أدوارها في المنظمات الدولية والإقليمية.

وبدت الجهود الناعمة للقوى المتوسطة أكثر قبولاً على المستوى الدولي مع استمرار الحرب الأوكرانية لأكثر من عام ونصف دون حسم عسكري، مما شكك في مدى فاعلية القوة الصلبة في تغيير سلوكيات الخصوم. فبرغم القدرات العسكرية الروسية الكبيرة وسيطرتها على أراضٍ أوكرانية بالقوة، فإنها لم تستطع إخضاع نظام كييف الذي تلقى بالمقابل دعماً عسكرياً

أوروبياً وأمريكياً، بل إن الحرب أعادت التماسك لحلف "الناتو" ووسعت رقعته بعد طلب انضمام فنلندا والسويد له، كما صارت استراتيجيته تعتبر موسكو التهديد الرئيسي للأمن الأوروبي.

ولم يكن ميل القوى المتوسطة لنهج الحلول السلمية وليد حالة الاستقطاب الدولي بين القوى الكبرى في الحرب الأوكرانية، وإنما كان نتاجاً لتراكم ممارساتها في مجال القوة الناعمة على مدار العقدين الماضيين، إذ استطاعت الترويج لنماذجها القيمية والسياسية والتنموية، وإضفاء شرعية وسلطة أخلاقية على سياساتها الخارجية، الأمر الذي مكنها من أن تكون فاعلاً مؤثراً في وقت الأزمات العالمية. ولا تتطابق – هنا - خطابات وممارسات القوة الناعمة للقوى المتوسطة كلياً مع منظورات القوى الغربية في هذا المجال، إذ صاغت دول، كالبرازيل والهند وكوريا الجنوبية وتركيا وغيرها نماذج للقوة الناعمة تمزج بين العالمية والمحلية، وتعكس خصوصيتها وأدوارها الإقليمية والدولية، بل إنها مددت دبلوماسياتها العامة والإنسانية والثقافية إلى مناطق العالم المختلفة، وإن كان بدرجات متفاوتة.

وتضافرت سياقات وعوامل عدة في تصاعد أهمية القوة الناعمة كإحدى أدوات السياسات الخارجية للقوى المتوسطة، ومن أبرزها ما يلي:

1- ملاءمة القوة الناعمة: بدا نمط القوة الناعمة، الذي يرتكز على القدرة على التأثير في تفضيلات وسلوك الآخرين عبر الجذب والإقناع لا الجبر والإكراه أكثر ملاءمة لطبيعة القوى المتوسطة. فبحكم تعريفها العام، فالقوى المتوسطة ليست قوى كبرى أو صغرى، إذ تفتقر لذات المستوى من قدرات القوة الصلبة، خاصة العسكرية والاقتصادية التي تمتلكها القوى الكبرى. ومع ذلك، فهي تملك عوامل التأثير في السياق الإقليمي، والطموح لأداء دور عالمي. من هنا، شكلت القوة الناعمة مدخلاً تعويضياً للقوى المتوسطة يعزز قدرتها على التأثير والدفاع عن أهدافها ومصالحها.

وعلى الرغم من جدال الأدبيات حول ماهية القوى المتوسطة، وأية دول تدخل وتخرج من تصنيفها، فإن البعض طرح سمات إجمالية أساسية لها تمزج بين عدة معايير، كالوضعية الجغرافية وطبيعة القدرات ونمط السلوكيات

والوظائف في النظام الدولي. فالقوى المتوسطة هي أولاً، فاعل جيوسياسي مؤثر في نطاقه الإقليمي، ويسعى لاستخدام هذا النفوذ للتأثير في المستوى الدولي. وثانياً، تملك قدرات صلبة (عسكرية) متوسطة قد لا تميل لإظهارها، إلا إذا تعرض أمنها القومي للتهديد من الخارج. وثالثاً، تدافع عن قيم ومبادئ أساسية في سياساتها الخارجية، كحل النزاعات سلمياً وعدم الانحياز وتعزيز العمل الجماعي والحلول متعددة الأطراف عبر المؤسسات والمنتديات الدولية، فضلاً عن استخدام أدوات الوساطة وحفظ السلام.

أما السمة الرابعة، فتتعلق بأداء القوى المتوسطة أدواراً وظيفية في التأثير في قضايا عالمية، فتتحول تارة إلى مُسير للمنتديات الدولية حول الهجرة والمناخ ونزع التسلح وحقوق الإنسان والتنمية وغيرها، وتارة أخرى إلى وسيط يستخدم قوة التأطير في بناء الأجندات حول القضايا العالمية. وخامساً، وأخيراً، تميل سياسات القوى المتوسطة إلى بناء تحالفات مع قوى كبرى أو متوسطة مثلها، خاصة أنها تستهدف الدفع بنظام دولي أكثر تعددية يلائم أهدافها ومصالحها. وعلى الرغم من أن المصالح الأمنية والاقتصادية هي أساس تلك التحالفات، فإن ذلك لا يمنع وجود مشتركات قيمية، مثل، سعي تجمع "البريكس" إلى عالم أكثر تعددية وانفتاحاً وشمولاً. وبشكل عام، تتلاقى سمات القوى المتوسطة مع طبيعة القوة الناعمة كنمط تعاوني لا إكراهي يحقق أهداف السياسة الخارجية بطريقة أقل كلفة من القوة الصلبة، بما يساعد تلك القوى على زيادة وزنها الجيوسياسي في السياسة العالمية.

2- تغيرات النظام الدولي: حفزت طبيعة التغيرات الجيوسياسية والجيواقتصادية في النظام الدولي في عالم ما بعد انتهاء الحرب الباردة على استخدام القوى المتوسطة للقوة الناعمة. ذلك أن سعي قوى كبرى صاعدة، كروسيا والصين، إلى الدفع بتعددية النظام الدولي وتراجع الهيمنة الأمريكية منح فرصة أكبر للقوى المتوسطة للمناورة وتعزيز مكانتها، كجسر بين القوى الكبرى والصغرى يسعى إلى تكريس قيم الاستقرار والأمن الدولي من ناحية، وكدول لديها مرونة في إدارة سياساتها الخارجية للتكيف مع تناقض القيم والمصالح بين القوى الكبرى المتنافسة، من ناحية أخرى.

لذا، سعت القوى المتوسطة إلى بناء تحالفات دولية توازنية (كالبريكس، مجموعة العشرين)، وانتهاج سياسة خارجية أكثر استقلالية، دون الصدام المباشر مع القوى الكبرى، وفي الوقت ذاته لم تستطع الأخيرة ممارسة نفوذها في الأقاليم دون بناء تحالفات مع قوى متوسطة، مثل، تحالف "أكواد" في آسيا والمحيط الهادئ بين الولايات المتحدة والهند وأستراليا واليابان، والذي يطرح نفسه كبديل لدول المنطقة في مواجهة الصين في مجالات تمزج القوتين الصلبة والناعمة كالإغاثة في الكوارث وجائحة "كورونا" والأمن المعلوماتي.

وتعززت أكثر سياسات القوى المتوسطة في الاستفادة الناعمة والصلبة في آن واحد من تغيرات السياق الدولي مع تغير طبيعة القوة ذاتها، واتجاهها أكثر للأبعاد الاقتصادية والتكنولوجية، خاصة مع تنامي الاعتماد الاقتصادي المتبادل في النظام الاقتصادي العالمي الذي كرسته العولمة، فضلاً عن أن انتشار الثورة الصناعية الرابعة ووسائل التواصل الاجتماعي جعل الصراع بين المعلومات والروايات أكثر حضوراً في رسم التصورات عن الدول وسمعتها ومكانتها.

3- تراجع النماذج الغربية الناعمة: شهدت نماذج القوة الناعمة للقوى الغربية تراجعات في هيمنتها العالمية بفعل عوامل مختلفة منها، صعود الحركات القومية الشعبوية في أوروبا التي طرحت خطابات معادية للمهاجرين من دول الجنوب، بما أحدث فجوة مع قيم المساواة والتعددية في إدارة العلاقة مع الآخر التي تطرحها سياسات القوى الأوروبية. أضف لذلك، انتهاج الولايات المتحدة سياسات انعزالية عن التحالفات الدولية والقضايا العالمية إبان إدارة الرئيس السابق دونالد ترامب، والذي رفع شعار "أمريكا أولاً"، وهو ما أدى إلى تراجع القوة الناعمة الأمريكية، وهو اتجاه بدا مستمراً برغم السياسات المغايرة لإدارة الرئيس الحالي جو بايدن، ولاسيما مع تكريس تعدديات نماذج القوى الناعمة الصاعدة في العالم، وتراجع النظرة للقيادة الأمريكية في العالم في الشرق الأوسط.

تآكلت أكثر النماذج الغربية الناعمة مع تنامي أزمات مصداقية سياساتها الخارجية، على نحو برز بجلاء في قضايا عالمية مثل، تغير المناخ، الذي تتحمل

الدول الصناعية الغربية مسؤوليته لكنها لا تزال تتباطأ في دعم دول الجنوب الأكثر تضرراً من الاحتباس الحراري. وكذلك، جائحة "كوفيد19" التي انتهجت الدول الغربية فيها سلوكيات "أنانية" في سياسات توزيع اللقاحات عززت أولوية مصالحها الداخلية على حساب الآخرين، حتى لو تناقض ذلك مع قيم أخلاقية وإنسانية عالمية تدعو الآخرين للالتزام بها.

4- الطلب العالمي على الخصوصية: أسهمت الذاكرة السلبية للدول النامية إزاء سياسة المشروطيات السياسية والاقتصادية للقوى الغربية، فضلاً عن التدخلات العسكرية الأمريكية في أفغانستان والعراق، في خلق بيئة عالمية مواتية لصعود نماذج ناعمة غير غربية تنحو أكثر لاحترام خصوصيات الدول والمجتمعات التي تسعى للتأثير فيها، عبر تفهم سياقاتها القيمية والسياسية والاقتصادية، على نحو برز في سياسات القوة الناعمة لكل من البرازيل والهند وغيرها.

ويعكس انجذاب الدول النامية للنماذج الناعمة غير الغربية، ليس فقط، بعداً مصلحياً يتعلق بتفضيل تلك الدول لمنطق تعددية القوى العالمية ورفض الهيمنة الغربية، وإنما يدلل أيضاً على أحد معاني القوة الناعمة، فهي في التحليل الأخير قوة غير إكراهية للآخرين، أي تفترض ترك حرية الاختيار لهم في تقرير سلوكياتهم. ومن ثم، فعندما تنتج القوة الناعمة نوعاً من الإمبريالية الثقافية عبر فرض وهيمنة ثقافات غربية على أخرى محلية، فإنها تتحول إلى قوة قسرية، أي تصير القوة الناعمة ليست ناعمة، بل امتداداً للقوة الصلبة حتى لو أخذت شكلاً ظاهرياً من التعاون.

لذلك، نُظر إلى القوة الناعمة خاصة للولايات المتحدة على أنها تريد مواصلة الهيمنة العالمية، من أجل التقليل من آثار فشل قوتها الصلبة العسكرية في أفغانستان والعراق في أعقاب أحداث 11 سبتمبر وسياسات الانسحاب التدريجي من الشرق الأوسط، أو موازنة العقوبات الاقتصادية الأمريكية ضد الدول لتغيير سلوكها. من هنا، ينظر البعض إلى القوة الناعمة الأمريكية على أنها تسعى لفرض أنماط من القواعد والمعايير الأساسية المستقاة من المنظور الليبرالي بشكل غير مباشر على الفاعلين في العلاقات الدولية. إذ

تفترض أن الدول التي تتمسك بمعايير غربية معولمة، كالديمقراطية والسوق الحرة وغيرها تكون لديها سلطة أخلاقية ومشروعة على عكس من لا يلتزمون بها، وهو ما انعكس في غالبية مؤشرات القوة الناعمة الدولية ذات المرجعية الغربية، والتي تبدو أكثر ملاءمة للسياقات الغربية. لذا، ظلت الأدبيات الغربية تتشكك في إمكانية ممارسة أنظمة تسلطية غير غربية، كالصين وروسيا وغيرها للقوة الناعمة لكونها تطرح نماذج قيمية وسياسية وسلوكية مغايرة.

في هذا الإطار، تأتي أهمية هذا الكتاب، الذي يقيم تجارب القوة الناعمة لخمس دول يُنظر لها في العديد من الأدبيات، كقوى متوسطة في العلاقات الدولية، وهي الهند وجنوب إفريقيا والبرازيل وتركيا وكوريا الجنوبية، والتي تمثل أقاليم وثقافات مختلفة، كآسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط، وتشترك في كونها تعبر عن سياقات غير غربية، وهو ما يتيح فهماً معمقاً لكيف تعمل القوة الناعمة في السياسات الخارجية للقوى المتوسطة ومزاياها النسبية التي تجعلها أكثر جذباً للآخرين؟، وما التحديات التي تحد من فعاليتها؟ وتطرح التجارب الخمس ملامح مشتركة قد تثري النقاشات النظرية والعملية حول القوة الناعمة ولاسيما أن تلك القوى المتوسطة لديها بالأساس مخزون تاريخي وحضاري من ممارسات التأثير الناعم في الآخرين، حتى قبل أن يصك جوزيف ناي مفهوم القوة الناعمة في العام 1990، والذي تعرض بدوره لتطورات، بخلاف الانتقادات له بهيمنة النظرة الغربية على مضامينه.

ومن أبرز ملامح التجارب الناعمة للقوى المتوسطة أنها حملت منطقاً عاكساً لخصوصيتها في اجتذاب الآخرين. إذ انبنى تصور ناي على أن القوة الناعمة تستهدف جعل الآخرين يريدون ما تريد، من خلال الجذب والإقناع والتأطير، وهو ما ينتج عن ثلاثة مصادر أساسية، وهي: الثقافة، بما تحويه من تقاليد وعادات وموسيقى وطعام وغيرها، والقيم السياسية، بما تعنيه من التزام الدول بقيم عالمية مثل، العدالة والسلام وحقوق الإنسان والديمقراطية، والسياسة الخارجية، بما تنطوي عليه من ممارسات تتوافق مع المعايير الدولية وتمنح الدول سلطة أخلاقية وشرعية في نظر الآخرين، وتجعلهم أقل مقاومة لأهدافها ومصالحها في الخارج.

وتتحقق الجاذبية للدول – بشكل عام - إذا قام الآخرون بمحاكاتها في أنماط التفكير والمعيشة أو نظروا لها بإعجاب وتطلعوا ليكونوا مثلها. لكن الجاذبية – هنا - ليست مطلقة، وإنما نسبية، أي أن ما قد يكون جذاباً لمجتمع ليس كذلك للآخرين، كما أن الجاذبية قد تتغير من مكان وزمان لآخر بفعل الخصوصيات الثقافية والاجتماعية، وحدود التقارب والتباعد القيمي والثقافي والجغرافي مع الآخر، ودرجة تطور المجتمعات ذاتها. من هنا، يمكن إدراك الميزة النسبية التي حملتها جاذبية القوة الناعمة للقوى المتوسطة.

إذ صاغت البرازيل نموذجاً ناعماً في سياساتها الخارجية يعتمد على كونها قائداً غير تدخلي يسعى لحل النزاعات سلمياً في أمريكا اللاتينية، وفي الوقت ذاته، تطرح نموذجاً ديمقراطياً داخلياً، ناهيك عن أنها مصدر إلهام عالمي في تجربتها لمكافحة الفقر. وبرغم معارضتها الهيمنة الأمريكية، فإنها لا تصطدم مباشرة مع واشنطن، وإنما توازن ذلك بعلاقات أخرى مع قوى كبرى وتحالفات في أمريكا اللاتينية ودول الجنوب، إذ تطرح نفسها كجسر للتعاون العالمي بين دول الشمال والجنوب.

بدورها، تعتمد جاذبية النموذج التركي على المزج بين العلمانية والإسلام والديمقراطية بما يجعل الآخرين ينظرون إليه كحل لمعضلة التيارات المتطرفة خاصة في العالم الإسلامي، وفي الوقت ذاته، تطرح تركيا نفسها كنموذج لدول نامية لديها بنية إنتاجية وصناعية متكاملة مع العولمة، حتى وإن عانت أزمات اقتصادية، كما تستغل موقعها الجيوستراتيجي كجسر بين الغرب والشرق لبناء توازنات مع الولايات المتحدة وروسيا، محاولةً استغلال التنافس الدولي لدعم قوتيها الصلبة والناعمة في آن واحد.

أما كوريا الجنوبية، فأسست نموذجها الناعم على ثلاثية "الديمقراطية والتنمية والثقافة"، فقد كرست المسار الديمقراطي منذ العام 1993 بعد فترات الحكم العسكري، وامتلكت نموذجاً اقتصادياً ناجحاً جعلها عاشر أكبر اقتصاد عالمي في عام 2021. والأهم أنها حولت ثقافتها المحلية من موسيقى "البوب" والدراما ونجومها إلى صناعة ثقافية إقليمية وعالمية، تحت مسمى "موجة الهاليو". بموازاة ذلك، عالجت معضلة التهديدات الإقليمية المحيطة عبر صياغة تحالفات مع واشنطن لتعويض نقص قدرتها الصلبة، واستخدام قوتها الناعمة في بناء صورة إيجابية عنها في المحيط الآسيوي.

امتلك أيضاً النموذج الهندي الناعم سمات تمزج بين العراقة التاريخية والديمقراطية والخصوصية القيمية والثقافية، والتي عبرت عنها عالمياً من خلال "دبلوماسية اليوجا" وسينما "بوليوود". وارتبطت جاذبية الهند لدى شعوب العالم بالكفاح السلمي ضد الاستعمار الغربي عبر نموذج غاندي الذي ألهم حركات التحرر في إفريقيا وأمريكا اللاتينية. وامتلك أيضاً هذا البلد نظاماً ديمقراطياً مستقراً منحه صورة إيجابية في الغرب والعالم، ولاسيما أنه أحد المساهمين الكبار في صندوق دعم الديمقراطية في الأمم المتحدة، بخلاف إرثها الممتد في حركة عدم الانحياز، والدفاع عن قضايا المناخ، واستقلالية سياساتها الخارجية، حتى عن سياسات القوى الغربية إذا وجدت أنها لا تتوافق مع مصالحها، كما برز في أزمة أوكرانيا.

تبلورت جاذبية جنوب إفريقيا ونموذجها الناعم في العالم إثر تجربتها في الانتقال الديمقراطي ما بعد "الأبارتهايد" (الفصل العنصري) مدفوعة بتوافقات داخلية، وهو ما لاقى قبولاً في سياقات في دول الجنوب التي لديها بالأساس معاناة مع التدخلات الغربية لفرض تسويات داخلية في الأزمات الداخلية، فضلاً عن دفاع جنوب إفريقيا عن حقوق الإنسان، وامتلاك قادة كاريزميين ألهموا العالم حول قيم السلام والعدالة مثل، نيلسون مانديلا. يضاف إلى ذلك، التوسط في النزاعات الإفريقية، والتخلي طواعية عن السلاح النووي، والسعي إلى بناء علاقات خارجية متوازنة بين القوى الكبرى المتنافسة في النظام الدولي.

بشكل عام، تعكس مصادر الجاذبية في نماذج القوة الناعمة للقوى المتوسطة ما يشبه النموذج الهجين في السياسة العالمية، والذي يجمع في بعض أبعاده بين ما يطرحه ناي من إطار قيمي ومصادر جذب تعكس المعايير الغربية، كالديمقراطية والاقتصاد الحر وغيرها، ومصادر الجذب المحلية الناتجة عن خصوصية القيم والثقافة والتجارب السياسية والتنموية في تلك الدول.

من جانب آخر، أولت القوى المتوسطة اهتماماً بالحلول الجماعية ومتعددة الأطراف واستخدام قوة التشبيك على الصعيدين الدولي والإقليمي، كجزء أساسي من ممارسات قوتها الناعمة، بما يكفل لها أولاً، ممارسة "التوازن الناعم" تجاه منافسات القوى الكبرى، وثانياً، التأثير في أجندة المؤسسات الدولية عبر ممارسة قوة جدول الأعمال أو التأطير، وثالثاً، الحصول على

شرعية أخلاقية لسياساتها الخارجية، وهو ما يعزز وضعيتها في النطاقين الإقليمي والدولي.

هنا، ليس من قبيل المصادفة أن توظف، كل من الهند والبرازيل وجنوب إفريقيا - وهي أعضاء في تجمع "البريكس"- دفعها للتعاون مع دول الجنوب للمطالبة بمقعد دائم في مجلس الأمن ليعبر عن تغييرات هيكل القوة العالمية خلال العقدين الماضيين. وتعكس هذه المطالبات الدور النشط للقوى المتوسطة في تعزيز العمل الجماعي في المنظمات الدولية، فالبرازيل قادت عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام لإحلال الأمن والاستقرار في هايتي، بينما شاركت جنوب إفريقيا بفعالية في بعثات حفظ السلام للأمم المتحدة في الأزمات الإفريقية، مثل جنوب السودان والكونغو الديمقراطية، فيما تحتل الهند المركز الرابع عالمياً، من حيث أعداد القوات المشاركة في عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة.

عززت أيضاً القوى المتوسطة العمل الجماعي الإقليمي، فالبرازيل تنشط عبر تجمعات "ميركوسور" و"أوناسور"، بينما تسعى جنوب إفريقيا إلى دور فاعل في الجماعة الإنمائية للجنوب الإفريقي "الصادك"، أما الهند فهي من مؤسسي مجموعة العشرين، إذ تطالب من خلالها بإصلاح النظام المالي العالمي، كما تسعى لصياغة علاقات وثيقة مع رابطة جنوب دول شرق آسيا "الآسيان". في الوقت ذاته، تطرح كوريا الجنوبية نفسها، كمنصة تشبيك تربط بين التفاعلات الإقليمية والدولية حول قضايا عالمية، إذ استضافت قمة العشرين في العام 2010 وقمة الأمن النووي في العام 2012، وتعزز أيضاً علاقتها مع "الآسيان" والهند في مجالات البنية التحتية والابتكار الرقمي.

وفي سبيل إنتاج قوتها الناعمة للجاذبية والإقناع، تستخدم القوى المتوسطة أدوات ودبلوماسيات ثقافية وإنسانية ورقمية وتعليمية وغيرها. مع ذلك، فقد لوحظ أن الموارد الصلبة خاصة العسكرية تحولت إلى مصادر للقوة الناعمة لدى القوى المتوسطة بشرط أن تكون ذات طابع غير قسري. فعلى سبيل المثال، استخدمت تركيا صناعتها العسكرية المتطورة كنموذج جاذب للتعاون ونقل الخبرات والتدريبات العسكرية للجيوش إلى الدول الأخرى، في سياق

ما يسمى بـ"الدبلوماسية العسكرية". بموازاة ذلك، كثفت أنقره استخدام المساعدات الإنسانية والتنموية وخبراتها في إدارة الطوارئ والكوارث في سعيها لنشر نفوذها الناعم والصلب في آن واحد في القارة الإفريقية والشرق الأوسط.

في هذا الشأن، يُثار جدال حول حدود التداخل بين القوتين الناعمة والصلبة في السياسات الخارجية للقوى المتوسطة، وأيهما أكثر فعالية في تحقيق الأهداف والمصالح، فالقوة الصلبة ذات الطابع الإكراهي - تبدو لدى البعض – فعالة في تحقيق الأهداف الفورية مقارنة بنظيرتها الناعمة التي تحتاج مدة زمنية طويلة وتراكماً في المجتمعات المستهدفة بالقوة الناعمة لتغيير سلوكياتها. هذا النقد للقوة الناعمة جعل ناي يعترف بصعوبة استخدام القوة الناعمة في تحقيق هدف فوري للدول، إذ اعتبرها تخاطب أكثر البيئة التي يسعى فيها بلد ما إلى تحقيق أهدافه. ودفع هذا ناي لاحقاً إلى تطوير مفهوم القوة الذكية (Smart Power) كاستراتيجية للدول تحدد متى تستخدم الدول سالقوة الناعمة أو الصلبة، وفي أي حالة وسياق.

مع ذلك، برزت إشكالية أخرى تتعلق بمدى التوازن بين استخدام القوتين الصلبة والناعمة في السياسات الخارجية للدول وتأثير إحداهما في الأخرى، فعلى سبيل المثال، فإن ممارسات القوة الأمريكية الصلبة في العراق وأفغانستان، بخلاف دعم إسرائيل على حساب الحقوق الفلسطينية المشروعة أثر في صورتها ونموذجها الناعم في الشرق الأوسط. بالمثل، ظهر الأمر في بعض تجارب القوة المتوسطة كتركيا، فزيادة استخدامها للقوة الصلبة خاصة التدخلات العسكرية في مرحلة ما بعد ما سُمي بـ "الربيع العربي" في العام 2011 أثر في قوتها الناعمة في الشرق الأوسط، إذ صار ينظر لها كتهديد لأمن واستقرار دول المنطقة، لكن مع عودتها أخيراً لإنهاء المشكلات مع الدول العربية، فقد يمهد ذلك لإعادة الجاذبية لنموذجها الناعم.

ولم يعان النموذج التركي فقط من تحديات قللت من فعالية قوته الناعمة. فبرغم قوة النموذج الهندي الناعم، فإنه يعاني معضلات تعرقل تأثيره أو تحول هذا البلد إلى فاعل عالمي مؤثر، كانتشار الفقر والبطالة والعنف الطائفي واضطهاد بعض الأقليات، بما خلق فجوة بين الصورة الديمقراطية التي يرسمها العالم عن الهند والواقع ذاته. بالمثل، سقطت جنوب إفريقيا

في فخ التناقض بين ديمقراطيتها والدفاع عن حقوق الإنسان في محيطها الإفريقي، ناهيك عن معضلات الفقر والفساد والتفاوتات المجتمعية والعنف ضد المهاجرين، والتي تجعل البعض يثير شكوكاً حول مصداقية نموذجها الناعم.

الأمر ذاته تعرضت له البرازيل بدرجات متفاوتة، فانتشار الفساد أدى دوراً محفزاً في صعود اليمين البرازيلي للرئاسة عبر جايير بولسونارو بين عامي 2019 و2022 الذي نال من القوة الناعمة للبلاد التي بناها اليسار اللاتيني على يد لولا دا سيلفا في فترتيه الرئاستين بين عامي 2003 و2010، عندما كانت البرازيل آنذاك خامس أقوى اقتصاد في العالم. وبرغم أن عودة لولا للرئاسة مرة أخرى للمرة الثالثة في أكتوبر 2022 تبشر بسياسة خارجية نشطة، واستعادة البرازيل لمكانة القوة الناعمة في الساحتين الإقليمية والدولية. تبقى التساؤلات مطروحة حول مدى إمكانية ذلك في ظل تغير السياقات الإقليمية والعالمية.

تلك الملامح والتحديات ليست إلا أمثلة من تقييم سياسات القوة الناعمة لدى القوى المتوسطة، والتي تتوسع فيها الفصول الخمسة لهذا الكتاب كل حالة على حدة، إذ تفحص مصادر تلك القوة، وآلياتها ومدى ارتباطها بأهدافها داخلياً وخارجياً، فضلاً عن إشكالياتها ومدى الفاعلية في التأثير ومنافسة الآخرين.

أول فصول هذا الكتاب يناقش القوة الناعمة الهندية من منظور نقدي، إذ يحاجج بأن ثمة تناقضاً بين مقومات القوة الناعمة للهند كدولة وحضارة، وأن مستقبل هذا البلد في عالم القوى الدولية يتوقف، في جانب منه، على حل هذا التناقض. لذا، يُخضع الفصل مفهوم جوزيف ناي للنقد، محاولاً تحديد مدى قدرته على استيعاب خصوصية القوة الناعمة في السياقات غير الغربية، ثم ينطلق من ذلك إلى فهم كيف تمارس الهند قوتها الناعمة، وكيف تتعدد دوائر تأثيرها بين الإقليم والعالم، ثم يختم نظرته بطرح تحديات الإرث الاستعماري، وأثره في مستقبل القوة الناعمة الحضارية الهندية.

بدوره، يقيم **الفصل الثاني** القوة الناعمة لجنوب إفريقيا التي تصاعدت إقليمياً وعالمياً إثر تجربتها في مرحلة ما بعد انتهاء نظام الفصل العنصري، ويتناول الفصل أسس القوة الناعمة لهذا البلد، والمصادر التي تُستقى منها هذه القوة، كما يركز على أهداف السياسة الخارجية لهذا البلد ومن ثم مجالات تطبيق القوة الناعمة لتنفيذ هذه الأهداف، وأخيراً يطرح التحديات أمام النموذج الجنوب إفريقي الناعم مع بروز أزمات التناقض والمصداقية والتردي الاقتصادي وسوء الحوكمة وغيرها، منتهياً إلى أن امتلاك الدول لمصادر القوة الناعمة ليس ضماناً لقدرتها على توظيفها بفعالية في السياسة العالمية.

أما الفصل الثالث، فيسعى إلى تقييم ما تمتلكه البرازيل من مقومات للقوة الناعمة، ومدى إدراك هذا البلد لدوره الإقليمي والدولي، وكيفية استخدام أدوات القوة الناعمة في سياسته الخارجية، والأهم التساؤل حول التأثير المحتمل لعودة لولا داسيلفا إلى السلطة لمرة ثالثة في السياسة الخارجية واستعادة حضور القوة الناعمة للدولة؟ وكيف سيعمل على معالجة أثر سياسات خلفه بولسونارو التي عطلت القوة البرازيلية الناعمة على مدى أربع سنوات؟

ويتناول **الفصل الرابع** النموذج التركي في ممارسة القوة الناعمة عبر فهم تحولاته الاستراتيجية من تصفير المشكلات في السياسة الخارجية إلى التراجع عن ذلك، وتكثيف استخدام القوة الصلبة، ثم الارتداد مرة أخرى نحو التهدئة، بفعل آثار العزلة التي عانتها تركيا إقليمياً إثر تدخلاتها العسكرية في بعض دول الشرق الأوسط خلال العقد الأخير. لذلك، يحلل الفصل تطور القوة الناعمة التركية، وطبيعة مصادرها، وأدواتها المتعددة في السياسة الخارجية، وما تواجهه من إشكاليات تؤثر في حدود فعاليتها ومستقبلها.

ويطرح **الفصل الخامس والأخير**، تجربة القوة الناعمة لكوريا الجنوبية التي استطاعت إعادة صياغة موقعها النسبي من وضع غير متكافئ إلى فاعل أساسي في التدفقات الثقافية الدولية. لذا، يسعى الفصل إلى فهم طبيعة القوة الناعمة لهذا البلد ومصادرها، وأدواتها وآلياتها ومدى تلاقيها مع الأهداف الداخلية والخارجية للدولة. فضلاً عن الإشكاليات التي ترتبط بصعود القوة الناعمة الكورية وحدود التأثير والتأثر مع القوى الإقليمية والدولية

ممن تستهلك منتجات الثقافة الكورية خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية واليابان والصين وتايوان، ويخلص الفصل إلى أن مستقبل القوة الناعمة لكوريا الجنوبية يرتهن بدرجتي الاستدامة والعالمية.

ختاماً، تُعد القوة الناعمة، كشكل من أشكال القوة غير التقليدية، مقوماً أساسياً للسياسات الخارجية للقوى المتوسطة في العلاقات الدولية، إذ وجدت في ذلك النمط من القوة وأدواتها الفرصة للدفاع عن أهدافها ومصالحها، مستغلة في ذلك التغيرات الجيوسياسية والجيواقتصادية في النظام الدولي، فضلاً عن تصاعد أهمية الأفكار والهويات والسرديات في بناء الصورة والمكانة في عالم اليوم. مع ذلك، فلا يكفي للقوى المتوسطة كي تعزز قوتها الناعمة طرح نموذج ناعم هجين يجمع بين ما هو عالمي ومحلي، لكن الأهم هو مدى مصداقية سياساتها الخارجية ومعالجة الأزمات الداخلية، بحيث لا تقع في فخ التناقض وعدم الاتساق الذي يخصم من جاذبيتها لدى الآخرين.

المحرر

د. خالد حنفي علي

باحث مصري، مؤسسة الأهرام

في أعقاب الحرب الروسية الأوكرانية، التي اندلعت في فبراير 2022، جادل البعض بأن عصر القوة الناعمة (Soft Power) تراجع في السياسة العالمية، وأن هذا النمط من القوة التعاونية صار "ثانوياً"، لفشله في منع الحرب، ومن ثم، عاد العالم لسيرته الأولى في تعظيم القوة الصلبة على حساب نظيرتها الناعمة. وقد يكون ذلك الاستنتاج صحيحاً جزئياً بالنظر إلى استخدام الأدوات العسكرية والعقوبات الاقتصادية في المواجهة العالمية بين القوى الغربية وروسيا حول أزمة أوكرانيا. إضافة إلى الزيادة الهائلة في الإنفاق العسكري العالمي، خاصة في أوروبا وآسيا (اليابان والصين).

مع ذلك، تكمن المفارقة أن الحرب الأوكرانية أبرزت أيضاً على النقيض أهمية القوة الناعمة لسياسات القوى المتوسطة (Middle Powers) في النظام الدولي، مثل، الهند والبرازيل وجنوب إفريقيا وتركيا وغيرها، والتي نشطت في مجال أدوار الوساطة لوقف الحرب. وبدت الجهود الناعمة للقوى المتوسطة أكثر قبولاً على المستوى الدولي مع استمرار الحرب الأوكرانية لأكثر من عام ونصف دون حسم عسكري، مما شكك في مدى فاعلية القوة الصلبة في تغيير سلوكيات الخصوم. ولم يكن ميل القوى المتوسطة لنهج الحلول السلمية وليد حالة الاستقطاب الدولي بين القوى الكبرى في الحرب الأوكرانية، وإنما كان نتاجاً لتراكم ممارساتها في مجال القوة الناعمة على مدار العقدين الماضيين، إذ استطاعت الترويج لنماذجها القيمية والسياسية والتنموية، وإضفاء شرعية وسلطة أخلاقية على سياساتها الخارجية، الأمر الذي مكنها من أن تكون فاعلاً مؤثراً في أوقات الأزمات العالمية.

في هذا الإطار، تأتي أهمية هذا الكتاب، الذي يقيم تجارب القوة الناعمة لخمس دول يُنظر لها في العديد من الأدبيات، كقوى متوسطة في العلاقات الدولية، وهي الهند وجنوب إفريقيا والبرازيل وتركيا وكوريا الجنوبية، والتي تمثل أقاليم وثقافات مختلفة، كآسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط، وتشترك في كونها تعبر عن سياقات غير غربية، وهو ما يتيح فهماً معمقاً لكيف تعمل القوة الناعمة في السياسات الخارجية للقوى المتوسطة ومزاياها النسبية التي تجعلها أكثر جذباً للآخرين؟ وما التحديات التي تحد من فعاليتها؟ وتطرح التجارب الخمس ملامح مشتركة قد تثري النقاشات النظرية والعملية حول القوة الناعمة ولاسيما أن تلك القوى المتوسطة لديها بالأساس مخزون تاريخي وحضاري من ممارسات التأثير الناعم في الآخرين، حتى قبل أن يصك جوزيف ناي مفهوم القوة الناعمة في العام 1990، والذي تعرض بدوره لتطورات، بخلاف الانتقادات له بهيمنة النظرة الغربية على مضامينه.

ISBN: 978-9948-771-11-1

المستقبل
للأبحاث والدراسات المتقدمة

سكاي تاور , جزيرة الريم, أبوظبي - إ.ع.م.
تليفون: 513 4444 - 02 - فاكس: 732 4444 - 02
www.futureuae.com

الإخراج الفني: عبدالله خميس